﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ بما أخذهم بذنوبهم ﴿ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ لم يظلمهم الله ولا هم ظلموا الله وإنما ظلموا أنفسهم بما استكبروا فأخذوا هنا اخذة طفيفة بما ظلموا.

وهذه العذابات الأربع: بالصيحة وهي هواء متموج سريعة الإيقاع، قرعاً للآذان وإلى الأعماق، وبالحاصب: حجارة من طين تتبدل ناراً بسرعة الإرسال، وبالخسف: غمراً في التراب، وبالإغراق في الماء، هذه هي العناصر المخلوق منها الإنسان وهي الأربعة الشهيرة مهما كانت كل واحدة تشتمل على جزئيات وذرات، فقد أخذوا عذاباً بما خلقوا من رحمة، وما عذابهم إلّا صورة واقعية من اعمالهم ف ﴿هَلُ تُحُرُونَ لِلّا مَا كُنتُمُ تَعُمَلُونَ ﴾(١)؟

فهؤلاء هم الذين اتخذوا من دون الله أولياء، أصناماً وأوثاناً وطواغيت، وإليكم مثلاً واحداً في هوانهم هو العنكبوت، فكما بيته أوهن البيوت كذلك بيوت الإشراك أياً كانت هي كبيت العنكبوت:

<sup>(</sup>١) سورة النمل، الآية: ٩٠.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِكَآءَ كَمَثَل ٱلْعَنكَبُونِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۚ وَإِنَّ أَوْهَلَ ٱلْمُبُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنْكُبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الْآيُ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِدِه مِن شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْمَنِينُ ٱلْحَكِيمُ الْآَيُ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا الْمُعْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَكَالِمُونَ (إِنَّ عَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقَّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَاَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ لَٰٓكُ اتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِئْبِ وَأَقِمِ ٱلصَّكَلُوةَ ۗ إِنَ ٱلصَّكَلَوْةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرُّ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿ فَي وَلَا تَجُدِلُوٓا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمٍّ وَقُولُواْ ءَامَنًا بِٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَاهُنَا وَإِلَاهُمُ وَخِدُ وَخَنْ لَلَهُ مُسْلِمُونَ الْآيَا وَكَالَاكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبُ فَٱلَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ ٱلْكِئبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمِنْ هَـُولُآءِ مَن يُؤُمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِعَايَلِتِنَا إِلَّا ٱلْكَافِرُونَ الْإِنَّي وَمَا كُنتَ لَتَلُواْ مِن قَبْلِهِ، مِن كِنَبِ وَلَا تَخُطُّهُ بِيمِينِكَ إِذَا لَآزَيَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿ إِنَّ بَلَ هُوَ ءَايَكُ يَبَّنَتُ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِعَايَلِتِنَا إِلَّا ٱلظَّالِمُونَ (إِنَّ وَقَالُوا لَوَلا أَنْزِكَ عَلَيْهِ ءَايَثُ مِّن رَّبِّهِ أَء قُلُ إِنَّمَا ٱلْآيِكَ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيثُ مُّبِيثُ ﴿ إِنَّهَا أَنَا أَنزَلْنَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِم اللَّهِ إِن فَالِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمِ يُؤْمِنُونَ إِنَّ قُلْ كَفَى بِأَللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا لَّ يَعْلَمُ مَا فِي

ٱلسَّمَوْتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُولَيَهِكَ هُمُ ٱلْخُسِرُونَ ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلُ مُسَمَّى لَجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْلِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (إِنَّ يَشْعُرُونَ لِيْنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَفِرِينَ (إِنَّ يَوْمَ يَغْشَلُهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَعْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنْنُمْ تَعْمَلُونَ (فَقَي يَعِبَادِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوَا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِيَّنِي فَأُعْبُدُونِ (أَنَّ كُلُّ نَفْسِ ذَآبِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ( وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ لَنُبُوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجَرِى مِن تَعْمَ الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِهَا يَعْمَ أَجْرُ الْعَلِمِلِينَ (أَنَّ اللَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهُمْ يَنُوَكُّلُونَ ﴿ فَي كَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحَمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿ وَلَبِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّ يُؤْفَكُونَ (إِنَّ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآهُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ( اللَّهُ وَلَهِن سَأَلْتَهُم مَّن نَزَّل مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكٰۡتُوٰهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ لِإِنَّ وَمَا هَاذِهِ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَاۤ إِلَّا لَهُوُّ وَلَعِبُّ وَإِنَ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُّ لَوَ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿ إِنَّ فَإِذَا رَكِبُولْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُلْ ٱللَّهَ مُغْلِصِينَ لَدُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَدَهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿ لِيَكُفُرُواْ بِمَا ءَاتَيْنَكُمُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهُ أَوَلَمُ يَرَوْلُ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَطُّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمُّ أَفَهِٱلْبَطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكُفُرُونَ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كُذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْكَلَّفِينَ ﴿ وَٱلَّذِينَ

## جَهَدُواْ فِينَا لَنَهُدِيَنَّهُمْ شُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ آلَ ﴾

### ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِيكَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أُولِكَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكُبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۗ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُونِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكُبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهِ الْعَنكُبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ الْعَنَا اللَّهُ الْعَنكُبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللّ

كل بيت إنما يتخذ للرياحة بيتوتة وسواها، آوياً أم ثاوياً، فالبيت ملجأ ومأوى ومثوى، وهنا مثل المشركين بالله كمثل العنكبوت، ومثل توليهم من دون الله مثل بيت العنكبوت، وكما ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكُبُوتِ لَوَ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ كذلك أوهن الأولياء هم الأولياء من دون الله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ وللعنكبوت فضلها عليهم إذ يعبد الله ولا تتخذ بيتاً كولي من دون الله، فأين - إذاً - بيت من بيت وثاو من ثاو، والمرغوب من المثل ليس إلّا البعض في الممثل به وهو هنا الوهن.

فكل خط أو خيط سوى خيط الله وخطه هو كخيط العنكبوت، لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً، اللهم إلّا مكيدة الاصطياد لبعض الحشرات طعمة للعنكبوت، وكما يصطاد الذين يدعون من دون الله ضعفاء العقول.

وكما لا يحصل للعنكبوت أي حاصل من بيته كبيت كذلك لأمثاله من الذين يدعون من دون الله لا يحصل أي حاصل من ولاية، بل هم خاسرون مهما لم يخسر العنكبوت من بيته! فالولاية حقها إنما هي لله ليست لسواه، لا تكوينية ولا تشريعية، إلّا ولاية شرعية فرعية كما يأذن الله لحملة شرعته إلى العالمين، ف ﴿ اللّذِيكَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ وَالْبِين وسائر الأولياء المكرمين، الأوثان والطواغيت، بل وعبدة الملائكة والنبيين وسائر الأولياء المكرمين، لا فحسب بل والمسلمون الذين اتخذوا النبي أو الولي ولياً من دون الله، وكالة أو نيابة عن الله، أم مستقلاً بجنب الله، كل أولاء مثلهم ﴿ كَمَثُلِ وَكَالَة أَو نِيابة عن الله، أم مستقلاً بجنب الله، كل أولاء مثلهم ﴿ كَمَثُلِ الْعَنْكَبُونِ اللهُ الْعَنْكَبُونِ الله الْعَنْكُبُونِ لَوْلَ يَعْلَمُونَ ﴾

مهما اختلفت دركات ذلك الاتخاذ إلحاداً في الولاية أو إشراكاً قل أو كثر، إذ لا ولي إلّا الله، أم من ولّاه الله حملاً لشرعته، لا تكوينية ولا تشريعية، قوة الله هي وحدها القوة، وولايته هي وحدها الولاية، وما عداها واهن ضئيل، مهما خيّل إلى الهائمين في سائر القوات والولايات أنها قوة أو ولاية، فهي كبيت العنكبوت، حشرة ضعيفة ضئيلة، واهنة رخوة، لا حماية لها من تكوينها ولا وقاية لها من بيتها الأوهن ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونِ ﴾ تلك المماثلة الماثلة بين أيديهم، و«لو» هنا تحيل لهم ذلك العلم لعمق التجاهل وحمق التساهل، فامتناع علمهم هذا مسنود إلى تقصيرهم المختار والامتناع بالاختيار لا ينافي الإختيار. وهل في الحق إن بيت العنكبوت أوهن البيوت على الإطلاق، وحتى من بيوت الجراثيم غير المرئية بالعيون غير المسلحة؟ على الإطلاق، وحتى من بيوت الجراثيم غير المرئية بالعيون غير المسلحة؟ علّه نعم سناداً إلى عموم «البيوت» وعلّه لا حيث «البيوت» هنا هي التي علّه نعم سناداً إلى عموم «البيوت» وعلّه لا حيث «البيوت» هنا هي التي

فأمثل الأمثال فيما يرى للذين اتخذوا من دون الله أولياء هو العنكبوت اتخذت بيتاً، وإن حياة العنكبوت العجيبة، المنضدة المنظمة، مما تجلب النظر وتجذب إلى الله الذي خلقها، ولا يعني ذلك المثل تنديداً بالعنكبوت وبيته، بل القصد فقط تنظير ما يتخذ من دون الله من أولياء في وهنه ببيت العنكبوت، وأما هو كخلق مما خلق الله، بالغريزة البارعة في نسج بيته، هو في ذلك الحقل من آيات الله البينات الدالة على كمال قدرته.

#### نسوج العناكب:

فمما تحير العقول وتقنعها باستحالة الصدف في الخلق نسوج العناكب، فدقة التنظيم والترتيب التي كشف عنها أبحاث العلم الحديث في ميادين عديدة تدعو للعجب والتأمل والتفكر، فقد كشف بعض العلماء الآلمان عن أن بعض العناكب تنسج خيوطاً دقيقة جداً، إذ إنها تنسج بيوتها من خيوط،

كل خيط منها مؤلف من أربعة خيوط أدق منه، وكل واحدة من هذه الخيوط الأربعة مؤلف من ألف خيط، وكل واحد من الألف يخرج من قناة خاصة في جسم العنكبوت وهذا يعني أن كل خيط ينقسم إلى  $(3 \times \cdots \times 1 = \cdots \times 1)$  خيطاً.

وذكر بعض العلماء الآلمان الباحثين في هذا الميدان: أنه إذا ضمّ أربعة بلايين خيط (٠٠٠ و ٢٠٠٠) بعضها إلى بعض، لم تكن أغلظ من شعرة واحدة من شعر لحيته، مع العلم إن متوسط شعر اللحية لا يتجاوز ١ و٠ ميلى متراً وبذلك فإن قطر مقطع الخيط الذي تنسجه العنكبوت يساوي (١) على (٢٠٠، ٢٠٠، ٢٠٠، ٤) من الميليمتر وإن الكيفية التي خلق الله بها في جسم العنكبوت ألف ثقب يخرج منها ألف خيط في آن واحد، حيث يخرج الخيط الدقيق فيجتمع كلّ ألف خيط في خيط أغلظ، ومن الخيوط الجديدة وتتجمع كل أربعة سوية لتشكيل خيط أكبر، وهكذا تتجمع الخيوط لتنشئ مسكناً ومصيدة للعنكبوت، وإنها لتدعو العاقل والعالم والمؤمن إلى التفكير في عظمة الخالق، وهذا ما يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَلَ ٱلْبُيُوتِ لَنَّ حَليل المعروف في الدقة وتناهت في التجزئة وجاءت برهاناً ساطعاً على النظام البديع والإتقان الفائق للصنعة الإلهية (١) كما جاءت مثلاً يندد بالذين يدعون من دون الله أولياء.

ترى هنالك خيوطاً متينة بشبكات محكمة الوضع هندسية الشكل، لحد لو اجتمع كل نساج وغزال في الدنيا وقوبلت صناعتهم بصناعات العنكبوت لفاق هذا الحيوان كل غزال من الإنسان.

<sup>(</sup>١) يوسف مروة اللبناني في كتابه: العلوم الطبيعية في القرآن.

ومادة هذه الخيوط خفيفة الوزن للغاية، فرطل منها يكفي ان تطوّق به الكرة الأرضية كلها!

#### العنكبوت البناء:

كل عنكبوت في الدنيا غزّال ونسّاج، وبعض أنواعها تبني منازل يشاهدها الناس في أماكن كثيرة بحجم (الكستبان) يقفلها من الداخل بقفل لم يقف على كنهه أحد من علماء الحشرات، حتى يأمن من دخول كل عدو مهاجم أو سارق، سبحان الخلاق العظيم!

#### عناكب البساتين:

وهنا نوع من العناكب تسكن البساتين، فتضطر إلى الانتقال من شجرة إلى أخرى ومن غصن منها إلى آخر، ولتسهيل التنقّل تبني قنطرة بين الشجرتين، أو ممشى بين الغصنين، هي خيط واحد يخرج من فمه من لعابه، إذا لامس الهواء جمد، فيمتد فيه بعد تثبيت أحد طرفيه ولا يزال الطرف الآخر يغدو ويجيء حتى يمسك بورقة أو غصن فتمر عليه العنكبوت، وبذلك تسهل المواصلات وتنجو من الخطرات والمفاجآت(۱).

<sup>(</sup>۱) ومن ذلك ما حكي أنه وضعت عنكبوت على عود في ماء قريب من شاطئ جزيرة فنزلت من أعلى العود إلى أسفله فوجدت الماء محيطاً بها فرجعت إلى أعلى ثم أخذت تفكر في حيلة تهتدي بها إلى النجاة فغزلت خيطاً وأثبتت أحد طرفيه في رأس العود ولا زال الطرف يغدو ويروح حتى أمسكت بغصن من الشاطئ الآخر فسارت عليه حتى نجت سالمة.

وهذا النوع البستاني من العناكب تنسج على الأغصان والأوراق شبكة عجيبة تقتنص بها الذباب وغيرها، فتتخذ بها مركزاً تقيم فيه وتمد خيوطها إلى جميع الجوانب، فشكل أطرافها محيط ذلك على الأوراق والأغصان، وتلك الخيوط أقطارها والعنكبوت رسامها وغازلها وناسجها ومهندسها والصائد بها، وما أشبه تلك الخيوط بأعمدة العجلة (البسكليت) فإذا حكمت تلك الأعمدة بخيوطها المجدولة أخذت العنكبوت تجدل خيوطاً اخرى فأدارتها على هذه وربطتها ربطاً وثيقاً محكماً عليها مع التناسب في الوضع والإحكام والهندسة بحيث ترى=

إن العناكب - ككل - تنسج نسجها بمؤخر أرجلها دون حاجة إلى النظر بعينها فإذا قطعت خيطانها قبل الغروب ثم نظرت لها عند شروق الشمس في اليوم الثاني رأيت شبكتها منسوجة كما كانت، وهي تأتي بقطع صغيرة من الأحجار والخشب فتضعها على نسجها حفاظاً له من التكسر وإطاعة الرياح الهابّة والأعاصير والزعازع، وإنها تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها في أشجارها وتلطّخ بها خيطانها وشبكتها لتكسبها لزوجة فلا تتمزق إذا فاجأتها الرياح وهاجت عليها الأعاصير، وإذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزوجة ولم يؤثر على الشبكة حركتها (۱)، ذلك طرف من إتقان العنكبوت في هندسة بيتها على أنه أوهن البيوت، وضرب المثل هنا جاء من واجهة وهنه دون بيتها على أنه أوهن البيوت المبنية بالغريزة الحيوانية بذلك الإتقان فكيف يكون - إذاً - أقوى البيوت؟

# ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءً وَهُوَ الْعَزِيْرُ الْحَكِيمُ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا يَعْقِلُهَ ۚ إِلَّا الْعَالِمُونَ (اللَّهُ :

ولأنه يعلم تماماً ما يدعون من دونه من شيء، فإنه هو الذي خلقها، لذلك يحكم أنها كبيت العنكبوت أوهن البيوت، لا وهنا في خلقه كفعله تعالى، وإنما وهنا لكل مخلوق أمام الخالق العزيز الحكيم، مهما كان من الإتقان ما يحير العقول.

و «ما» هنا تحتمل انها موصولة أو استفهامية أو مصدرية أو نافية، ولكن

<sup>=</sup> بين كل خيطين من تلك الأعمدة وآخرين من الملتف عليها مسافات متساويات هندسية ومنها تكون شبكة للصيد عجيبة الصنع جميلة الوضع، وهذه الشبكة قلدها الإنسان في صيد السمك للقوت وفي صنع زينة منسوجة من الحرير منقوشة مرصعة بالحلي اهتدى لها الإنسان المتمدن بعد الآلاف من السنين تفتخر به الفتيات الأفرنجيات في إتقان الصنعة وحسنها (تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي ١٤: ١٤٣ - ١٤٤).

<sup>(</sup>١) المصدر ناقلاً عن كتابه جمال العالم.

«من» تنفي كونها نافية إلّا إذا كانت زائدة ولا زائدة في القرآن بلا عائدة، وحتى إذا كانت للتأكيد فالمعنى أن الله يعلم انهم لا يدعون من دونه شيئاً أبداً، رغم أنهم يدعون من دونه كل شيء حتى الموحدين غير الحقيقيين فضلاً عن الملحدين والمشركين.

ثم الثلاثة الأول قد تكون كلها معنية، فهو يعلم الذي يدعون من دونه من شيء، ويعلم ماذا يدعون. ويعلم الدعوة من دونه، علماً شاملاً لا يبقي كائناً ولا يذر إلّا ويشمله بكمه وكيفه، بزمانه ومكانه، بكونه وكيانه، وذلك قضية عزته وحكمة ﴿وَهُو الْعَنِيزُ الْمَكِيمُ ﴿ وقد يعني النفي في «ما» بتأكيد «من» إنه يعلم أنهم لا يدعون من دونه من شيء، إنه ليس شيئاً يدعى من دون الله، فإن شيئيتها ليست إلّا عارية من الله دونما استقلال فكيف تدعى من دون الله، وهذا وإن كان في نفسه صحيحاً ولكن الصيغة الصالحة له صحيحة فصيحة هي «يعلم إنهم لا يدعون من دونه من شيء» إلّا إن عنايتها ضمن الثلاثة الأولى لا بأس بها، فعل الأربعة كلها معنية، ويا لها من جماع العلم المحيط لله ﴿ سُبَحَنهُ وَتَعَكِي عَمّا يُشْرِكُون ﴾ (١).

وإن الأمثال المضروبة للناس في هذا القرآن بالغة لحد من التمثيل منقطع المثيل أنها ﴿وَمَا يَعْقِلُهَ ۖ إِلَّا ٱلْعَكِلِمُونَ ﴾ فرغم أن جماعة من المشركين المجاهيل يتخذونها مادة للسخرية والتهكم قائلين: إن رب محمد يتحدث عن الذباب والبعوضة والنحل والعنكبوت، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحِي ۗ أَنَ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمًا ٱلَّذِينَ عَامَنُوا فَيَعُلُونَ أَنَهُ ٱلْحَقُ مِن رَبِّهِمً وَأَمًا ٱلَّذِينَ كَامَنُوا فَيَعُولُونَ مَاذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا . . . ﴿(٢).

فالعالمون هناك هم المؤمنون هنا، كما الذين لا يعلمون في آيات عدة

<sup>(</sup>١) سورة يونس، الآية: ١٨.

<sup>(</sup>۲) سورة البقرة، الآية: ۲٦.

هم الذين كفروا، فالإيمان بالله يزيل الأغشية عن الأبصار والبصائر فأصحابها يعقلون تلك الأمثال الحكيمة القرآنية، كما والعالمون العلوم التجريبية يعقلون، فإن كانوا مؤمنين فأحرى وأكثر، وإن كانوا كافرين فقد يهتدون بها إن أرادوا الهدى، حيث العلم بنفسه طريق الهدى إذا لم تخلطه الردى.

والعقل الحرّ أياً كان يعقل هذه الأمثال مهما كان مجرداً عن علم الإيمان وسائر العلم، إذا فالعقلية الإيمانية، ثم العلمية، ثم العقلية الإيمان وسائر العلم، إذا فالعقلية الإيمان هي شركاء ثلاثة في أن تعقل هذه الأمثال دون اختصاص بعقلية الإيمان، وإلّا لم تعد هذه الأمثال تنفع غير المؤمنين، والذين اتخذوا من دون الله أولياء هم الموجّه لهم في الأصل ذلك المثل الأمثل، تحريضاً لهم أن يعلموا الحق منه ومن أمثاله بالتعقل، وما القولة الكافرة ﴿مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَنذا مَثَلاً ﴾(١) إلّا جاهلة تخالف العقل.

فالأمثال المضروبة في القرآن، فضلاً عن حقائقه المجردة، إنما تعقل بالعلم على درجاته، علم الفطرة والعقل والإيمان وسائر العلم الذي به تكشف الحقائق حسب درجات الفاعليات والقابليات، فالعلم أياً كان مستخدم لعقل الحقائق، كلما ازداد عقلها فالإيمان بها، فتلك الأمثال ليست مجرد تمثيلات شعرية ودعاوى خاوية، بل هي حجج بدورها توضّح الحقائق البعيدة عن العقول.

ولأن التفكر والتذكر هما من شؤون العقل والعلم: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ اللَّا اللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّا الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللل

سورة البقرة، الآية: ٢٦.

<sup>(</sup>۲) سورة إبراهيم، الآية: ۲٥.

<sup>(</sup>٣) سورة الحشر، الآية: ٢١.